بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لن يموت عهدنا معك[١]

قال جل ذكره: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ[٢] مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ[٣] وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ[٤] ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ[٥] وَمَن يُرِدْ

---

(١) العدد (٧، ٨) لسنة ١٣٧٨هـ.

(٢) **يقال**: خلا الزمان أي ذهب ومضىٰ، والمعنىٰ: لقد ذهب الرسل الذين كانوا من قبل محمد، فقتلوا أو ماتوا وسيذهب محمد مثلهم؛ لأن بشريته من بشريتهم، فيقتل، أو يموت.

(٣) أي: ارتددتم عن دينكم الحق، فبدلًا من أن تسيروا قدمًا لتحقيق أنبل الغايات تعودون إلىٰ الوراء، إلىٰ جمود الرجعية المشركة، وظلام الجاهلية الكافرة.

(٤) **الشكر ثلاثة أضرب:**

شكر القلب: وهو تصور النعمة، وتطامن القلب لرب النعمة.

وشكر اللسان: وهو الثناء علىٰ المنعم.

وشكر سائر الجوارح: وهو مكافأة النعمة بما يمكن كل جارحة أن تكافئ به المنعم.

وسيجزي الله الشاكرين الذين يشكرونه بكل نوع من أنواع الشكر، ولا يغني شكر عن شكر، بل لا بد من أن تشكر الله بالقلب واللسان والجوارح كلها، وقد ترك الله الجزاء مطلقًا غير مقيد تفخيمًا لشأن الجزاء، وليعم كل ما أعد الله من جزاء لمن يحبهم ويحبونه.

(٥) أي كتب الموت كتابًا مؤقتًا له أجل معلوم، لا يتقدم ولا يتأخر، والأجل هو المدة المضروبة للشيء، وقد أجلت الشيء جعلت له أجلًا.

ثَوَابَ (١) ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ (٢) كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ (٣) لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ (٤) وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ (٥) ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

---

(١) **الثواب**: ما يرجع إلىٰ الإنسان من جزاء، ويقال في الخير وفي الشر، وإن كان المتعارف استعماله في الخير أكثر.

(٢) **كأين**: اسم مركب من كاف التشبيه وأي المنونة، وهي تفيد التكثير غالبًا كما في هذه الآية، والربيون: جمع ربِّي نسبة إما إلىٰ الرب الذي هو المصدر، ويكون معناه: الذي يرب العلم، أو يرب نفسه به، وإما إلىٰ الرب سبحانه، فيكون معناه: الذي ينتسب إلىٰ ربه بالإيمان الحق والتوحيد الصحيح والعمل الصالح. وقال في اللسان: الربي والرباني: الحبر (العالم الكبير) ورب العلم؛ وقيل: الرباني الذي يعبد الرب زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، وقال سيبويه: زادوا ألفًا ونونًا في الرباني إذا أرادوا تخصيصًا بعلم الرب دون غيره، كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم. وقيل الرباني العالم العامل المعلم أو هو العالي الدرجة في العلم.

وأقول: كلها متقاربة، غير أن بعضهم جاء بجزء من المعنىٰ، فالكلمة تجمع كل هذا الذي ذكر.

(٣) **الوهن بسكون الهاء**: الضعف في العمل والأمر وكذلك في العظم ونحوه (اللسان)، وقال الراغب: الضعف من حيث الخلق (بسكون اللام) والخلق (بضم اللام)، أما الضعف فقد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال. فيكون معنىٰ: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦] أي: ما لانت لهم عزائم، ولا جبنت نفوس، ولا مستهم شكوك، ولا تخلفوا عن عمل ينصرون به دين الله، ولا تغير حالهم.

(٤) **الاستكانة**: الخضوع والتخشع عن ذلة، فما استكانوا أي: فما خضعوا ولا ذلوا لغير الله، وما سكتوا عن دعوة، ولا جبنوا عن قتال، ولا مست قلوبهم خشية إلا من الله.

(٥) **الصبر**: الإمساك في ضيق.

=

وَإِسۡرَافَنَا(١) فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا

=

قال الراغب: الصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي: صبرًا لا غير، ويضاده: الجزع، وإن كان في محاربة سمي: شجاعة، ويضاده: الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي: رحب الصدر، ويضاده: الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي: كتمانًا، ويضاده: المذل والإفشاء. انتهىٰ كلام الراغب.

والله يحب الصابرين الذين يجمعون بين أجمل أنواع الصبر، فلا يجزعون عند المصيبة، ولا يضجرون عند النائبة، ولا يفرون من معركة، ولا يفشون ما ائتمنوا علىٰ كتمانه من المؤمنين، ولا ينطلقون مع أهواء النفس، بل يحبسونها علىٰ طاعة الله.

(١) **السرف**: هو مجاوزة الحد في كل فعل يفعله الإنسان. وقال في اللسان: أسرف في ماله: عجل من غير قصد، والسرف الذي نهىٰ الله عنه هو ما أنفق في غير طاعة قليلًا كان أو كثيرًا (لأنه تجاوز به الغاية منه) والسرف بالشيء الجهل به، وقال الراغب عن السرف: إنه يقال تارة اعتبارًا بالقدر (أي: قدر ما ينفق) وتارة بالكيفية (أي: كيف ينفق)، ولهذا قال سفيان: ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلًا. انتهىٰ.

والأمر: الشأن. وقد جأر هؤلاء الربيون إلىٰ الله يدعونه: أن يثبت أقدامهم، فلا يمسهم جبن عن قتال، ولا تهلكهم ردة عن الدين، وأن ينصرهم علىٰ الكفار، وقد مهد هؤلاء لما سألوا أجمل تمهيد فيه تزكية للنفس وتطهير لها، وإظهار لما انطوت عليه من خوف ومذلة وخضوع وخشية، وفيه طرق بالضراعة والاعتراف لأبواب الاستجابة، فقد أقروا عن خشية بذنوبهم وسألوا الله مغفرتها، فعلوا ذلك قبل أن يطلبوا النصر، وأقروا بإسرافهم في شئونهم، وسألوا ربهم غفرانه، فعلوا ذلك أيضًا قبل أن يطلبوا تثبيت الأقدام والنصر، ليمهدوا لدعوتهم الرقي إلىٰ معارج القبول والاستجابة، ونلحظ أن اعترافهم بالإسراف جاء مطلقًا غير مقيد إلا بأنه في أمرهم، ليعم كل إسراف فعلوه وهم يعلمون أنه إسراف،
=

وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ[(١)] ﴿١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٤-١٤٨].

=

أو فعلوه وهم يجهلون أنه كذلك، وليعم كل إسراف مادي أو أدبي، حسي أو معنوي.

(١) **الإحسان**: ضد الإساءة ويقال علىٰ وجهين - كما يقول الراغب -، أحدهما: الإنعام علىٰ الغير، والثاني: الإحسان إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا، أو عمل عملًا حسنًا، والإحسان فوق العدل؛ لأن العدل هو أن تعطي ما عليك، وأن تأخذ ما هو لك، أما الإحسان فهو أن تعطي أكثر مما عليك، وأن تأخذ أقل ما هو لك، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع.

وقال صاحب اللسان: والفرق بين الإحسان والإنعام: أن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، والإنعام لا يكون إلا لغيره.

وأقول: لقد عرف الرسول ﷺ الإحسان بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». وهذا هو الإحسان في عبادة الله، وهو من شرعة الإسلام لا من طقوس الصوفية كما يهولون علىٰ الناس.

وقد وعد الله المحسنين بحبه، وفي التعبير بالحب هنا وفي كل مواردها إعجاز إلهي في الإنعام، وإشارة يعجز البيان البشري عن الإحاطة بمعناها الأسمىٰ، ولكننا نؤمن بأن الله يحب، بيد أن حبه ليس كمثله حب، ثم إن الله وصف هؤلاء الذين يحبهم بأنهم محسنون، أي: المتصفون بكل ما يقال عنه في الشرع واللغة إنه إحسان، فالوصف به مطلق غير مقيد، ليفيد أنهم محسنون في كل شيء وبكل شيء يمكن أن يحسنوا به وفيه.

قالوا معللين لنزول تلك الآيات: رمىٰ عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله ﷺ في غزوة أحد بما كسر به رباعيته وشج وجهه، ثم مضىٰ -أي: ابن قمئة - صائحًا: قتلت محمدًا. وتجاوبت بصيحته الكاذبة أهواء المشركين، فشاع في الناس ما افتراه ابن قمئة، ووجدت هذه

=

آيات تشرق منها الحكمة الهادية التي تفيض علىٰ النفس سكينة الإيمان، وعلىٰ

=

الشائعة سبيلها إلىٰ قلوب المسلمين، فإذا الحزن الساجي، والوهن المسيطر والإحجام القلق عن القتال، وقالوا أيضًا: إن رجلًا من المهاجرين مر علىٰ رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: يا فلان، أشعرت أن محمدًا ﷺ قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل، فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم.

ثم يروون رواية صدق وحق موقف أبي بكر وتذكيره بهذه الآيات يوم وفاة الرسول: أن أبا بكر أقبل علىٰ فرس من مسكنه بالسنح - بضم السين وسكون النون إحدىٰ محال المدينة، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، وكان بها منزل أبي بكر) حتىٰ نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتىٰ دخل علىٰ عائشة، فقصد رسول الله ﷺ وهو مغطىٰ بثوب حبرة (علىٰ وزن عنبة وهو ثوب يماني فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، وقبله، وبكىٰ، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك، فقد متها، ثم خرج، وعمر يكلم الناس، فقال أبو بكر: اجلس يا عمر، ثم قال أبو بكر: أما بعد: فمن كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال ابن عباس: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتىٰ تلاها أبو بكر، فتلاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعرقت، حتىٰ ما تقلني رجلاي، وحتىٰ هويت إلىٰ الأرض.

ذاك ما قيل - مختصرًا - عن سبب نزول الآيات، وهذا ما حدث يوم وفاة رسول الله ﷺ...

وسجل التاريخ أن أبا بكر كان أثبت الصحابة جنانًا، وأن هول المصاب لم ينسه أبدًا هدىٰ الله، وأنه بنور هذه الآيات بدد عن النفوس الخور واليأس.

القلب طمأنينة اليقين؛ آيات تغمرنا بالتأسية الفياضة بالرحمة،وتوجب علىٰ كل مؤمن أن يكون إيمانه بالله إيمانًا لا ينتسب إلا إلىٰ الحق، ولا يرتبط إلا به، ولا يدور في فلكه السماوي إلا معه، فما يزلزل قوةَ إيمانه، أو ينكص به أن يموت من دعاه إلىٰ الحق، أو كان سببًا إنسانيًّا سخره الله لهدايته إليه.

إن الإيمان حياة وبصيرة وهدىٰ وعزة وقوة وجهاد.

وإن الكفر موت وعمىٰ وضلالةٌ وذلةٌ وضعف وجبانَةٌ ترعشها نَأْمَةٌ حَيْرىٰ.

الإيمان حياة تشرق علىٰ القلب من هداية الحي القيوم وحده، وتعمل له وحده، وتستمد أسباب سموها منه وحده، وتتوجه إليه وحده بكل ما يعتمل فيها من مشاعر وأحاسيس وعواطف؛ لأنها تجد السعادة التي تنشدها في أن تبلغ رِضاه، فلا يرعش إيمان المؤمن مصاب فادح يَبْغَتُه علىٰ غِرَّة، أو خطب مُدْلهِمٌّ يأخذ ظلامُه بكل ما حوله؛ لأن المؤمن لا يؤمن بالموتىٰ آلهة، ولكنه يؤمن بالله الذي خلق الموت والحياة، وله ملك الأولىٰ والآخرة.

نعم تهيم في عينيه الدموع الخواشع، وتَرْمِضُ قلبَه الأحزانُ المسْتَعْبِرة، بَيْد أنك تجد دموعَه تعبيرًا رقيقًا عن الإيمان الرضيِّ، وتجد أحزانَه بيانًا رحيمًا عن الإخبات التقيِّ. تجد في شَفَق الأحزان علىٰ مُحيَّاه، وفي حيرة الدموعِ بين عينيه دليلًا قويًّا علىٰ الإيمان الذي يثبت دائمًا - إذا أَلَمَّ بالقلب ما يُريب أو يُحْزن - أنه هو القوة الإلهية التي تثب به إلىٰ القمة، والروحُ الربَّاني الذي يستعلي بالإنسان عن أن يَهِنَ، أو يرتابَ أو ينكصَ علىٰ عقبيه، وأنه هو النورُ الذي يبدّدُ عن آفاق النفس ظلام اليأس، ويهدي سبحاتها إلىٰ حيث تطمئن إلىٰ الرجاء، ويشيع في دنياها مباهج الأمل في رحمة الله ونصره.

ونحن أنصارَ السنة - وقد دهمنا خطب قاصم، وعصفت في حياتنا نكبة رَعْناء بوفاة إمام التوحيد في العالم الإسلامي المعاصر، المغفور له بإذن الله، والدنا الشيخ محمد حامد الفقي[١] - نجعل من تلك الآيات الهادية نبراسًا يضيء لنا فيما

(١) اسمه: محمد حامد سيد أحمد عبده الفقي.

مولده: ولد رَحِمَهُ اللهُ بقرية جزيرة نكلا العنب التابعة لمركز شبراخيت محافظة البحيرة في سنة ١٣١٠هـ، الموافق ١٨٩٢م.

أسرته: ولد لأبوين فاضلين، فوالده الشيخ سيد أحمد عبده الفقي، بدأ دراسته بالجامع الأزهر وقطع فيه شوطًا بعيدًا، ولكنه لم يُتم الدراسة لظروف ألمت به.

وأما والدته، فكانت السيدة الوحيدة التي تحفظ القرآن الكريم في القرية، وتجيد القراءة.

وقد ساعد هذا الجو العلمي الشيخ محمد حامد علىٰ حفظ القرآن والتفقه.

طلبه للعلم:

بدأ الشيخ بحفظ القرآن الكريم؛ حيث أتم حفظه في شهر رمضان ١٣٢٢هـ، وقد كان عمره آنذاك اثني عشر عامًا.

بدأ دراسته بالأزهر في شهر شوال ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، وكان يحب أن يقيد حنبليًّا، إلا أنه لأسباب ما انتسب للأزهر حنفيًّا، وبعد أن أمضىٰ بالأزهر قرابة الست سنوات - أي في عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١٠م - بدأ في دراسة الحديث والتفسير.

وفي عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م تخرج رَحِمَهُ اللهُ في الأزهر حيث نال شهادة العالمية، وكان عمره خمسة وعشرين عامًا، وانقطع منذ تخرجه لخدمة كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ.

أشقاء الشيخ: محمد شيبة الحمد، محمد شاكر المحاميان، والشيخ محمد النعماني من العلماء، والحاج محمد رشيد رضا التاجر، رحمهم الله.

أبناؤه: الطاهر محمد الفقي، وسيد أحمد الفقي، ومحمد الطيب الفقي وهو الوحيد الذي عاش =

....

=

بعد وفاة والده، رحمهم الله.

رفاق الشيخ: من أبرزهم:

١ - العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ - العلامة محمد عبد الظاهر أبو السمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ (إمام الحرم المكي).

٣ - العلامة محمد عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (مدير دار الحديث الخيرية).

٤ - العلامة أبو الوفا درويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حبر الصعيد.

٥ - العلامة عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الرئيس العام لأنصار السنة المحمدية سابقًا.

٦ - العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧ - العلامة عبد الرحمن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨ - العلامة عبد العزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩ - العلامة محمد تقي الدين الهلالي المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠ - الشيخ محمد نصيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجيه جدة، وغيرهم كثير.

تلاميذه: خلق كثير من أبرزهم:

١ - العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الرئيس العام لأنصار السنة سابقًا.

٢ - العلامة محمد عبد الوهاب البنا حفظه الله، المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا.

٣ - العلامة حسن عبد الوهاب البنا حفظه الله، المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا.

٤ - العلامة سعد ندا حفظه الله، المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا.

٥ - العلامة محمد علي عبد الرحيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الرئيس العام لأنصار السنة سابقًا.

وغيرهم...

- اعتناقه المنهج السلفي:

اهتم بالقراءة لعلماء السلف أمثال: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الحافظ ابن القيم، =

....

=

والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم من علماء التوحيد وأئمة الهدىٰ، وعنىٰ بكتبهم ومؤلفاتهم وطبعها ونشرها بين المسلمين[جماعة أنصار السنة صـ(٤)].

وهذا ما عبر عنه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكتب قائلًا:

«ولقد كنت في حياتي الأولىٰ سالكًا مع السالكين، وملبسًا مع الملبسين، ومخرفًا مع المخرفين، وداعيًا إلىٰ البدعة والجاهلية، وعبادة الموتىٰ والخشب والنصب مع الداعين، فهداني الله إلىٰ نور الهدىٰ، وكشف عن بصيرتي حُجُبَ الجهل والعمىٰ، وبصرني بنور الحق من كتاب الله وسنة نبيه المصطفىٰ، ووفقني بفضله إلىٰ سبيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وأنقذني بذلك من طريق الردىٰ.

فذقت من يومئذ حلاوة التوحيد الخالص والإيمان، وتحققت الفرق العظيم بين الحق والباطل والهدىٰ والضلال، وبين توحيد الأنبياء والمرسلين، وتوحيد المشركين والجهمية المعطلين، وبين آيات الله وحديث رسوله، وبين شبهات المبطلين وزخارف المفترين.

وعرفت لله تعالىٰ منته العظمىٰ في تلك الهداية، ونعمته الكبرىٰ في هذا التوفيق» [مجلة الهدي النبوي، العدد الثاني جمادىٰ الأولىٰ (١٣٥٦). السنة الأولىٰ صـ(٧٠٦)].

قال الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهو أحد تلاميذه -:

«**وسألت الشيخ حامدًا**: يا شيخ كيف صرت موحّدًا علىٰ منهج السلف، وأنت درست بالأزهر؟

فقال الشيخ: درست بالأزهر، ودرست عقيدة المتكلمين، التي يدرسونها، وأخذت الشهادة العالمية، وذهبت إلىٰ بلدي كي يفرحوا بنجاحي، وفي الطريق مررت علىٰ فلاح يفلح الأرض، ولما وصلت عنده، قال: يا ولدي، اجلس علىٰ الدكة. وهو يشتغل، ووجدت بجانبي علىٰ طرف الدكة كتابًا، فأخذت الكتاب، ونظرت إليه فإذا هو كتاب: «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم، فأخذت الكتاب أتسلَّىٰ به، ولما رآني أخذته وبدأت أقرأ فيه تأخر عني قدرًا من الوقت الذي آخذ فيه فكرة عن الكتاب، وبعد فترة وهو يعمل في =

حقله وأنا أقرأ في الكتاب جاء الفلاح، وقال: السلام عليك يا ولدي، كيف حالك؟ ومن أين جئت؟ فأجبته علىٰ سؤاله، فقال لي : والله إِنْتَ شاطر؛ لأنك تدرجت في طلب العلم حتىٰ توصلت إلىٰ هذه المرحلة؛ ولكن يا ولدي أنا عندي وصية. فقلت له: وما هي ؟

قال الفلاح: أنت عندك شهادة تعيشك في كل الدنيا؛ في أوربا وأمريكا، ولكن ما علمتك الشيء الذي يجب أن تتعلمه أولًا.

قلت: وما هو؟

قال: ما علمتك التوحيد.

قلت: و ما هو التوحيد؟

قال: توحيد السلف.

قلت: وما هو توحيد السلف؟

قال: إنه يوجد في هذه الكتب كتاب السنة للإمام أحمد، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وكتاب اعتقاد أهل السنة للحافظ.

وذكر الفلاح كتب التوحيد التي للمتأخرين والمتقدمين، ثم ذكر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقال له: أنا أدلك علىٰ هذه الكتب إذا وصلت إلىٰ قريتك ورأوك وفرحوا بنجاحك لا تتأخر ارجع رأسًا علىٰ القاهرة، ادخل دار الكتب المصرية ستجد كل هذه الكتب التي ذكرتها كلها فيها، ولكنها مكدّس عليها الغبار، وأنا أريدك أن تنفض ما عليها من الغبار وتنشرها.

لم ينس الشيخ حامد هذه الوصية فعاد إلىٰ القاهرة مسرعًا وعكف علىٰ كتب السلف يخرجها من غياهب أدراج المكتبات ويقوم علىٰ خدمتها. اهـ.

جهوده الدعوية رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ – خطبه بمسجد الهدارة بعابدين.

....

=

٢- تكوينه جماعة أنصار السنة المحمدية عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، واتخاذ دار لها بعابدين.

٣- تأسيسه لمجلة الإصلاح الحجازية بمكة المكرمة؛ وكانت من أوائل المجلات التي ظهرت في العهد السعودي، فقد صدرت في مكة عام ١٣٤٧هـ وكان يتولىٰ إدارتها والإشراف علىٰ تحريرها؛ وقد استمرت عامين حتىٰ توقفت عام ١٣٤٩هـ بعد أن صدر منها العدد السابع عشر.

٤- تأسيسه لمجلة الهدي النبوي؛ وقد أسسها بعد عودته من الحجاز بحوالي ثماني سنوات عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م، وقد تولىٰ رئاسة تحريرها إلىٰ أن توفاه الله، وهي مدة تقارب ثلاثًا وعشرين سنة.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المجلة:

«ولطالما تمنت نفسي أن أصدر صحيفة دينية علمية تضم صوتها إلىٰ المصلحين، وتدعو إلىٰ الحق والرشاد والصلاح.

ولقد حقق الله الأمنية وهو المستعان، فلقد أخرجت جماعة أنصار السنة المحمدية مجلتها المباركة: الهدي النبوي؛ لتحقيق ما سبق ذكره من معالجة الأدواء التي تنخر جسم المجتمع الإسلامي في هذا العصر، والله ولي التوفيق» [مجلة الهدي النبوي العدد الأول، ربيع الثاني ١٣٥٦هـ صـ(٣)].

٥- أسس مطبعة أنصار السنة المحمدية، ويتولىٰ إدارتها الآن الشيخ الأستاذ سرور الفقي.

منهجه في التفسير:

لقد ظل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يكتب في مجلة الهدي النبوي في تفسير القرآن بانتظام، حتىٰ كانت آخر آية فسرها قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾. [الإسراء: ١١]

وعن منهجه في التفسير، كتب رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

«ونحن إن شاء الله تعالىٰ سنتوخىٰ في قولنا في تفسير القرآن الكريم أن يكون أولًا بالقرآن، =

....

=

فإن لم نجد فبسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة برواية العدول الثقات، ونقصد إلىٰ تطبيق حوادث الزمان، وحال الأمم الإسلامية في جميع شئونها السياسية والاقتصادية، والدينية، علىٰ القرآن، لأن هذا هو أهم غرضنا من التفسير، ليعرف الناس أين هم من القرآن.

وسنحرص أن يكون سهل العبارة، قريب المأخذ، بعيدًا عن الاختلافات والمماحكات اللفظية، والمحاولات في غير طائل لأن ننتصر به لمذهب، ولا نتعصب لقائل، وإنما نبتغي الحق قدر طاقتنا، ونطلب الدين الصحيح جهد استطاعتنا، ومحاولين بذلك توجيه المسلمين إلىٰ كتابهم الذي أنزله الله شفاء لما في صدورهم، وإرجاعهم إلىٰ الهدىٰ والحق من ربهم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل: ٩].

ومن الله أستمد المعونة، وأسأله الكلاءة والحفظ والصيانة من الزلل والخطإ، واتباع الهوىٰ، وغلبة الرأي، وأن يفتح مغالق قلوبنا، ويكشف عن بصائرنا الغي والعصبية، وأن يجعلنا من الراشدين، بمنه وكرمه» [مجلة الهدي النبوي، العدد الثاني جمادىٰ الأولىٰ ١٣٥٦هـ صـ(١٨) السنة الأولىٰ].

ثم يعبر عن طريقته في التفسير من أين اقتبسها، وممن تعلمها، فيقول: «...هذا ولا أعرف في القديم والحديث - بعد الرسول ﷺ والصحابة - من أوتي الفقه في القرآن، ورزقه الله الفهم الصائب فيه، والحكمة في شرح مقاصده ومراميه، والغوص علىٰ درره واستخراجها من أعماق بحاره صافية مشعة: مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله وجزاهما أحسن الجزاء - لأجل هذا أنا حريص جد الحرص علىٰ أن أنشر ما أجد لهما من تفسير آيات أو سور» [مجلة الهدي النبوي، العدد السادس عشر رجب ١٣٥٧، صـ(٨-٩) السنة الثانية].

ثناء العلماء عليه:

قال العلامة محمد بهجت البيطار رحمه الله في ثنائه علىٰ إصدار مجلة الإصلاح الحجازية:

«فمديرها سلفي المعتقد، إصلاحي المنزع، صافي المشرب، ثابت العزيمة، دءوب علىٰ العمل، =

سليم الذوق، حسن الاختيار» [جماعة أنصار السنة المحمدية صـ(١٦٣)].

قال عنه الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد اطلعت علىٰ الحواشي التي وضعها - يقصد في تحقيقه لفتح المجيد - الأستاذ العلامة الشيخ محمد حامد الفقي، فألفيتها كثيرة الفوائد قد أجاد فيها وأفاد».

قال العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لقد ظل والدنا إمام التوحيد في العالم الإسلامي الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأكثر من أربعين عامًا يجاهد في سبيل الله، ظل يجاهد قوىٰ الشر الباغية في صبر، مارس الغلب علىٰ الخطوب، واعتاد النصر علىٰ الأحداث بإرادة تزلزل الدنيا حولها، وترجف الأرض من تحتها، فلا تميل عن قصد، ولا تجبن عن غاية؛ لم يكن يعرف في دعوته هذه الخوف من الناس، أو يلوذ به إذ كان الخوف من الله آخذ بمجامع قلبه، كان يسمي كل شيء باسمه الذي هو له، فلا يداهن في القول ولا يداجي أو يبالي، ولا يعرف المجاملة أبدًا في الحق أو الجهر إذ كان يسمي المجاملة نفاقًا ومداهنة ويسمي السكوت عن قول الحق ذلًّا وجبنًا.

عاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر، عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته، كان في دعوته يمثل التطابق التام بين الداعي ودعوته، كان صبورًا جلدًا علىٰ الأحداث، نكب في اثنين من أبنائه الثلاثة، فما رأىٰ الناس منه إلا ما يرون من مؤمن قوي أسلم قلبه كله لله» [المصدر السابق].

وقال الشيخ محمد عبد السلام الشقيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب كتاب: «السنن والمبتدعات»، وهو يتحدث عن مجلة الهدي النبوي:

«... والحمد لله؛ فأظهر مجلة «الهدي النبوي» علىٰ يد الأستاذ الجليل، الداعي إلىٰ سنة رسول الله، المحارب للبدعة الشيخ محمد حامد الفقي» [جماعة أنصار السنة المحمدية ص(١٦٠)].

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل:

«كان في دعوته هذه لا يتعصب لمذهب ما، بل كانت عصبيته وحميته للحق وحده، وكان عدو =

ادْلَهَمَّ من خطب، ومنارًا يهدينا فيها تَدَجَّىٰ من مصاب، فلا يستبد بنا جزع، فيميل بنا إلىٰ اليأس، ولا يهولنا خطب، فيعطف أعنتنا إلىٰ الوراء، ولا يغلبنا الحزن علىٰ أمرنا، فنتهافت علىٰ الطريق قبل أن نصل إلىٰ الغاية، ولكننا - بإذن الله وباستمداد القوة منه والرعاية - نخوض الهَوْل، ونقتحم العقبات، ونجاهد في حمية الحق في غير هوادة ولا تواكل، ومن أعماق القلوب نهتف، وتهتف دموعنا الخاشعة، وأحزاننا المستعبرة: (إنا للهِ، وإنا إليه راجعون) وفي محاريبنا نجدد العهد بين يدي الله ضارعين: (اللهم قونا حتىٰ لا يموت عهدنا معك، قَوِّنا حتىٰ نحتمل الصبر كُلَّه، وندعو إليك علىٰ بصيرة).

=

المذهبية ويراها عن بينة وإيمان، أنها الخطر الداهم» [نور من القرآن صـ(٧)].

وقال الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عندما رأيته يدرس في مكة عند باب علي قلت: هذا ضالتي. وكانت حلقته أول حلقة أجلس فيها في الحرم، وكان ذلك عام ١٣٦٧هـ».

وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ، الموافق ١٦ يناير ١٩٥٨م علىٰ إثر عملية جراحية أجراها بمستشفىٰ العجوزة، وبعد أن نجحت العملية أصيب بنزيف حاد، وعندما اقترب أجله طلب ماءً للوضوء، ثم صلىٰ ركعتي الفجر بسورة الرعد كلها، وبعد ذلك طلب من إخوانه أن ينقل إلىٰ دار الجماعة؛ حيث توفي بها، وقد نعاه رؤساء وعلماء الدول الإسلامية، وحضر جنازته واشترك في تشييعها من أصحاب الفضيلة: وزير الأوقاف، والشيخ عبد الرحمن تاج، والشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، وجميع مشايخ كليات الأزهر وأساتذتها وعلمائها وقضاة المحاكم [جماعة أنصار السنة صـ(٢٤)].

لقد ظل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من أربعين عامًا يجاهد في سبيل الله، ظل يجالد قوىٰ الشر الباغية في صبر، مارسَ الْغَلَب علىٰ الخطوب، وعزمٍ اعتاد النصر علىٰ الأحداث، وإرادة تتزلزل الدنيا حولها، وترجف الأرض من تحتها، فلا تميل عن قصد، ولا تجبن عن غاية، ولا تنحرف عن سواء السبيل؛ ظل يفعل هذا عن بصيرة مشرقة بنور الإيمان، ووعي نفذ إلىٰ روح الحقائق، وإدراك لا يزيغه أبدًا شبهة ساحرة، أو ريبة ماكرة.

هذا لأنه فهم حقيقة الإيمان، وجعلها في الحياة مقياسه الذي يقيس به الأشياء، والقيمة الحقة التي يقوِّم بها حقائق ما حوله، والروح التي بها يعمل ويفكر ويتدبر.

لقد آمن بأن كتاب الله هو الحق، وأن محمدًا ﷺ خاتم النبيين، فكشف الله له بهذا الإيمان كل رانٍ عن بصيرته، وكل دَخل عن سريرته، ففقه القرآن فقهًا صحيحًا لا ينزع به عن الحق الجليِّ هوىٰ عاصف، أو هَوْل راجف، أو رِيَبٌ تتخذ سطوتها من التقليد الموروث، أو ممن يزفونها اليوم في صور جديدة فاتنة الألوان، واتخذ الشيخ - غفر الله له ورحمه - سبيل الرسول ﷺ في الدعوة إلىٰ الله، الدعوة إلىٰ تصفية القلوب من أدران الشرك، ونوازغ الوثنية، حتىٰ تخلص للحق وحده، فتعمل عن إيمان صادق، وتحب لله، وتبغض لله، لقد عرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الداء، وهداه الله إلىٰ الدواء فهب في حماس متقد، لم يَخْبُ أبدًا أُوَارُه حتىٰ وهو علىٰ فراش مرضه الأخير، هب يدعو الناس جميعًا إلىٰ التوحيد الخالص، وإلىٰ اتخاذ القرآن إمامًا، وسنة الرسول سبيلًا.

كان يلين حين يرىٰ اللين مجْديًا، ويغلظ حين يرىٰ ألّا بد من هذا، مقتديًا بقول ربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

كان يسمي كلَّ شيء باسمه الذي هو له، فلا يُدْهِن في القول، ولا يداجي، ولا يمالئ، ولا يعرف المجاملة أبدًا في الحق أو الجهر به، إذ كان يسمي المجاملة

نفاقًا مداهنًا، ويسمي السكوت عن قول الحق ذُلًّا جبانًا، وقال رُوّادُ النفاق، وأدعياء الدعوة، وموالي الناس، وخدمُ شهواتهم، وعَبَدُ الطاغوت: غلظة خشنة جافية! وَدَوّىٰ صوت الحق يصك أسماعهم: شجاعة موفورة، وصراحة مشكورة مبرورة.

لم يكن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دعوته هذه يعرف الخوف من الناس، أو يلوذ به؛ إذ كان الخوف من الله وحده آخذًا بمجامع قلبه، مسيطرًا علىٰ دنياه، قهارًا لسره وعلانيته، كان في دعوته هذه لا يتعصب لمذهب ما، بل كانت عصبيته وحمِّيته للحق وحده، وكان عدو المذهبية ويراها - عن بينة وإيمان - أنها الخطر الداهم علىٰ الجماعة الإسلامية، ويردد قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وما زال بهم يجادلهم حتىٰ انتصر، لقد عرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذة النصر حينما انتصر علىٰ هواه، فكيف لا يعرف النصر علىٰ أهواء سواه؟!

عاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر، كان يؤمن بالحياة، ويؤمن بالموت، وأنه مِعْبرٌ إلىٰ الحياة الأبدية الخالدة، فعاش يشيِّد الحياة حتىٰ يحييه الله عنده، عاش بالإيمان الحق يُسخِّر دنياه لدينه، ويحكِّم دينَه في دنياه، فلم يخمله الدين، ولم تُطْغِه الدنيا.

عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته، كانت آلام المرض القاسي تشد إحساسه بها، فينساها وهو بيننا يذكرنا بآيات الله، كان عذاب السقم يستحوذ علىٰ جسمه، فيأبىٰ إلا أن يسعىٰ إلىٰ دار الجماعة، والليل قرٌّ عاصف يلفح الوجوه بالثلوج، ثم يتخذ مجلسه المعتاد وعلىٰ وجهه السمح إشراق الرضا، وعلىٰ شفتيه تلك الابتسامة العذبة الحنون التي تعبر عن صفاء قلبه، ثم يستغرق في التذكير بآيات الله بصوت فيه قصف الرعد، وعذوبة الرحمة، ورقة الخشية، ونُبْل الإخلاص فلا يشعر الحشد

الهائل من تلاميذه بما يعاني الشيخ من داء وبيل، ولا يصدقون - وهذا صوتُه القوي الراعد المنذر المخوِّف من غضب الله - أنه مريض حتىٰ لقد ظن الكثيرون أن مرضه الأخير دهمه فجأة، بَيْدَ أنه كان يعانيه من زمن دون أن يشعر به سوىٰ نفر قليل من الأدنين من ذوي رحمه، كان بعض المشفقين من أهله يناشدونه أن يشفق علىٰ صحته من الجهد العنيف الذي يبذله في سَمُومِ الصيف، وزمهرير الشتاء، وليله المدوِّي بالأعاصير، ولكنه كان يقول لهم دائمًا: لا يا أحبَّة، فإن الله سائلي يوم القيامة عن هذه الدعوة.

كان في دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمثل التطابق التام بين الداعي ودعوته، فهو في سره وعلانيته، وهو في بيته وفي المجتمع، وهو بين الناس، وبين تلاميذه، وهو فيما يأمر به من معروف، وينهىٰ عنه من منكر، كان في كل أحواله هذه المؤمن الذي يلتزم بما يدعو إليه ويطبقه تطبيقًا صحيحًا في كل معاملاته.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُحِبًّا للقراءة، فيعكف الساعات الطوال علىٰ الكتب ينقب ويبحث ويقارن.

يقرأ كل شيء باسم الله؛ ليستخلص العبرة، وليدل علىٰ الحق ويدعو إلىٰ تأييده، وليبين الباطل فيما قرأ، ويحذر منه؛ كان لقراءته غاية واحدة هي خدمة دعوة الحق.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ خطيبًا لسنًا مصقعًا، يمتاز بصدق التعبير وجزالة الأسلوب، وقوته وفصاحة المنطق، فتخالط دعوتُه شغافَ القلوب، وتلمع فكرتُه أمام العقل غير مشوبة بإيهام ولا شبهة.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ محبًّا للتراث الإسلامي، ينقب عنه، ويسعىٰ جاهدًا في سبيل نشره، وكان كريمًا سمحًا جوادًا مضيافًا، تشعر وأنت في بيته كأنه ضيفك، وأنت مضيفه.

وكان لطيف المعشر، موطأ الأكناف، بارًّا كل البر بأصدقائه وإخوانه.

وكان في بيته مثلًا أعلىٰ في الرعاية والتطبيق الصحيح لحسن المعاملة، تراه مثلًا مكبًّا علىٰ مكتبه منقبًا باحثًا، فيأتي الصغار من أحفاده يعتلون ظهره وكتفيه، ويعبثون بما أمامه، فلا ينفرهم منه حتىٰ سمة زائفة من غضب، أو بادرة متوهمة من تأفف، وتنظر إلىٰ عينيه وإلىٰ محياه، فإذا السرور لامع الإشراق، وإذا البشر فياض العبير، وإذا الحنو الدافق جيَّاش النبع، خرجت مرة معه من المسجد فلقي حفيده الصغير (محمد سرور)[1] فحمله علىٰ كتفيه وحذاء الصغير ملوَّث ببعض الأوحال، فقلت للشيخ باسمًا: جلبابك الأبيض يا أستاذ، فقال في دعابته الأبوية: (وانت مالك يا أخي هيَّه هدومك؟).

وكان صبورًا جَلْدًا علىٰ الأحداث، نكب في ابنين عزيزين فما رأىٰ الناس منه إلَّا ما يرون من مؤمن قوي أسلم لله قلبه كله.

وكان صفوحًا، فلم يتسرب مرة إلىٰ قلبه حقد أو غل أو كراهية، كان يسبق بالعفو إساءة المسيء، وبالعفو ذنبه، وبالحلم بوادر الطيش الغاضب منه، ويلقاه بعد هذا، وقد نسي كل شيء. أذكر مرة أن جماعة ثوروا عليه بهتانًا يحاولون به النيل من مقامه، وافتروا لهذا مفتريات دنسة النسب، بينة الكذب، فعلوا هذا لا غيرة علىٰ حق أو فضيلة - كما تراءوا لذوي الضحالة في الفهم - وإنما هو الحسد المحموم لنجاح الشيخ في دعوته، وعلوِّ مكانته.

---

(١) توفي رَحِمَهُ اللَّهُ منذ عدة شهور، وكان جنديًّا وفيًّا لدعوة التوحيد، ناشرًا لتراث السلف، من خلال مطبعته، مطبعة دار السنة المحمدية. (ض).

وأذكر أني دخلت عليه بعد نقاش عاصف منهم، وهادئ وقور سمح منه، فماذا سمعت؟ وماذا رأيت؟ سمعته يبتهل إلىٰ الله أن يشفيهم من أحقادهم، وأن يعفو عنهم، ورأيت علىٰ مخايل وجهه بشائر الصفح والمغفرة، وكان يعلم تلاميذه الجرأة في قول الحق، ويدعوهم في حرارة الصدق وتلهب الحماس إلىٰ مناقشته الحساب العسير إن أخطأ.

وأذكر مرة أنه نقد رأيًا للإمام الجليل ابن تيمية وتلميذه العظيم ابن القيم، ثم رأيته بعد هذا حزينًا، وسألته، فأجاب: لقد رأيت عدم الرضا في وجوه بعض أبنائي، وسمعت من بعض الشيوخ الذين نعتز بأخوتهم أنهم ينقمون مني هذا النقد، وهذه إثارة يا بنيّ تدل علىٰ أن هؤلاء لم يتطهروا بعد من كل شوائب التعصب لغير الحق، والتعصب يا بني للأشخاص مَسْرَبٌ خفي من مسارب الوثنية، ونحن أنصار السنة يا بني لا نتعصب إلا للحق وحده، نعرف الرجال بالحق، ولا نعرف الحق بالرجال.

عاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ للإسلام، فأحب كل مسلم، لهذا كان له في كل بلد إسلامي تلاميذ وأصدقاء، وكان لهذه التلمذة والصداقة أثر عظيم في انتشار الدعوة، وإنشاء فروع لها حتىٰ وصلت إلىٰ مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

لقد كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يذكر دائمًا أن العالم الإسلامي وحدة، ويعمل دائمًا لهذه الوحدة في جميع ما يكتب أو يخطب.

هكذا كان الشيخ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغفر له - وكان فوق ما ذكرت، فما هي إلا لمحات من جهاده، أما تاريخ حياته المفصل، فسيكتبه هنا فضيلة الشيخ شيبة الحمد الفقي شقيق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فاللهم إن حامدًا توسل إليك بالإيمان الحق بك،

والجهاد في سبيل إعلاء كلمتك، فاللهم اغفر له، وهب له جود رضوانك، وأنزله منازل الأبرار والصديقين والشهداء، وألهمنا الصبر الجميل بعده.

أما نحن أنصار السنة: فبعون من الله سنواصل الكفاح بعده في عزم مصمم، وتضامن قوي، ووحدة شاملة تضمنا جميعًا علىٰ الحب والصدق والإخلاص والإيثار، لن نهادن البدعة، ولن نعطف علىٰ الخرافة، ولن نجامل في الحق.

نحن نؤمن بالله، ونوقن أنه مع المؤمنين، ونوقن بصدق وعده في الدفاع عن المؤمنين به. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ [الطلاق: ٣].

نحن نعلم أن الفرحة الساجية تغمر قلوب الحاقدين، وتهتف بها ألسنتهم، وتلتمع بها كوهج النار في عيونهم، ولكنها فرحة الشريد بالسراب، وفرحة اليائس بكذب الأحلام.

علىٰ القمم الشوامخ، وفوق الذرىٰ التي تلامس قبة النجوم، مكانةُ الدعوة أيها الحالمون بتعاسة المصير، تعالوا اليوم وانظروا إلىٰ الجنود المجندة من أنصار السنة، لقد احتشدوا بإيمانهم القوي، وعزائمهم التي لا تعرف التخاذل أو التواكل؛ ليفتدوا بأرواحهم دعوة الحق، وليجعلوا السلطان الأكبر لدعوة الحق، فلقد نبههم موت الشيخ المفاجئ إلىٰ واجبهم لحظة وفاته، فهبوا سراعًا يذرفون الدموع، ويصقلون العزائم المواضي، ويتخذون العبرة من الموت؛ ليجِدُّوا في الحفاظ علىٰ الحياة، حياة الدعوة التي لن تموت بإذن الله.

مات بطلهم الأول، فأحيا موتُه في قلوبهم الحماس والحمية الثائرة التي لا تخمد لها ثورة علىٰ أعداء الدعوة. إن في مصر، في سورية، في السعودية، في السودان، في العراق، في لبنان، في شرق الأردن، في ليبيا، في مراكش، في الجزائر،

في تونس، في الصومال، في أرتريا، في كل بلد عربي أو إسلامي لدعوة الحق جنودًا بررة، تتجمع اليوم قواهم كالطوفان القوي، ولكنه الطوفان الذي يجرف أمامه كل ما خلفت القرون المظلمة من أساطير، ليعود هذا الدين الحق كما كان في عهده الأول مسيطرًا علىٰ القلوب، مهيمنًا علىٰ الضمائر موجهًا للحياة، فإذا الدنيا سلام ورحمة، وإذا المجتمع محبة وتعاون وإيثار.

إن المسجد اليوم لا يتسع للمصلين، ودار الجماعة علىٰ سعتها تموج بجنود الدعوة، لقد شعر كل منهم أن الشيخ وحده كان أُمَّة، كان سدًّا منيعًا، كان قوة مكنها الله من قهر أعداء الدعوة والظفر بهم، فما أن حُمَّ قضاء الله فيه حتىٰ آمن كل جندي من أنصار السنة بأنه يجب عليه أن يُعِدَّ نفسه للفداء، وأن يذر كل شيء ليفرغ لأعداء الدعوة، وأن يجند نفسه وماله وولده وكل جهده للدعوة وحدها.

لقد أنساني هول المصاب ما في قلوب أنصار السنة من حماس جياش متدفق، فخشيت ولكن ما إن رأيتهم، وقد ملئوا دار الجماعة، بل تكدسوا فيها حتىٰ امتلأت نفسي ثقة ويقينًا وطمأنينة، وقلت لإخواني: كان الشيخ وحده بما وهب الله له من قوة وعزم وعلم ومهابة وحكمة. كان وحده يصد الطوفان، طوفان الشرك والزندقة والإلحاد، فما لم نحتشد جميعًا، لنقف حيث كان يقف، فسيهزمنا الطوفان ونمضي مع التيار المجنون... وإذا بي ألمس أنهم جميعًا يشعرون بما هو أعمق من شعوري، وإذا بهم يثبتون في خطر المحنة، أن هذه المحنة ستزيدهم ثباتًا علىٰ الجهاد، وقوة في الجلاد، وتصميمًا علىٰ النصر بإذن الله.

يا أنصار السنة في كل مكان، إننا نجاهد في سبيل الله، ونعمل علىٰ إعلاء كلمته، فاطمئنوا إلىٰ عون الله ونصره.

يا أنصار السنة: لن تغيب شمس دعوة تستمد نورها من القرآن.

يا أنصار السنة: لن تهزم دعوة تقتدي بسنة رسول الله ﷺ.

يا أنصار السنة: إن أعداء الدعوة أكثر منكم عددًا ومالًا؛ ولكنكم أشد منهم قوة، وأعظم غنىٰ، لأنكم تؤمنون بالقوي الذي بيده خزائن السموات والأرض.

يا أنصار السنة: سيحاولون أن يشغلوكم عن دعوتكم بما ليس لهم أن يتحدثوا فيه، وبما لا ينتسب إلىٰ أصل من أصول الدين، فافتحوا عيونكم جيدًا، وكونوا علىٰ حذر، فألد أعداء الدعوة المنافقون، وألد أعداء الدعوة الطامعون، وألد أعداء الدعوة الانتهازيون، ولهؤلاء قبل غيرهم نحن متيقظون.

واللهَ أسأل، وإليه أجأر أن يغمر الشيخ العظيم بشآبيب رحمته ورضوانه، وأن يعوضنا عنه خيرًا، وأن يثبت قلوبنا علىٰ الصبر واليقين

